

النبي محمد وعلاقته ببحيرا الراهب وورقة بن نوفل

حفيظ سليمان
باحث مغربي



قسم الدراسات الدينية

على سبيل التقديم:

في ظلّ غياب أي دليل علمي عن اطلاع النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم على الكتاب المقدّس؛ أضف إلى ذلك أنّه من الأمور التي لا جدال فيها هي أميّةه صلى الله عليه وسلم، وفي ظلّ غياب ترجمة عربية للكتاب المقدس في زمنه عليه الصلاة والسلام، لم يبق أمام الطاعنين في نبوته سوى القول إنّه تلقى تعاليم دينه الذي جاء به عن بحيرا الراهب وورقة بن نوفل.

ويأتي هذا المقال ليجيب عن هذه الإشكاليّة التي طرحت ولا زالت تطرح حول علاقة النبي محمد صلى عليه وسلم ببحيرا الراهب وورقة بن نوفل، وهل فعلا تلقى عنهما ما يحويه الكتاب المقدس؟. وسأبيّن في البداية كيف وقع هذا اللقاء بينهم ثم انتقل للردّ على شبهة كون تعاليم الإسلام مصدرها يرجع إلى ما تلقاه النبي محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم عن الشخصيتين السالف ذكرهما.

1- صلته صلى الله عليه وسلّم ببحيرا:

لقاء النبي محمد صلى عليه وسلم ببحيرا الراهب كما تذكر كتب السيرة كان يوم أن خرج بصحبة أبي طالب في تجارة إلى الشام، يقول ابن إسحاق: "ثم إنّ أبا طالب خرج في ركب تاجرا إلى الشام فلما تهبأ للرحيل، وأجمع المسير، صب به- لزمه- رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقّ له، وقال: والله لأرجعن به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبدا.

فخرج معه، فلما نزل الركب بأرض الشام وكان بها بحيرا (كان حبرا من يهود تيماء)، رأى غمامة تظلل محمد صلى الله عليه وسلم، فأمر بحيرا بإعداد الطعام لهذا الركب على غير العادة وطلب منهم الحضور جميعا، فلما رآه جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده في صفته حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرّقوا قام بحيرا فقال له: يا غلام أسألك باللات والعزى إلّا أخبرتني عمّا أسألك عنه"¹. فهو يريد أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم لكي يعرف مدى موافقة جواب الرسول صلى الله عليه وسلم لما يوجد عنده - عند بحيرا - تضيف الرواية "أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: لا تسألني باللات والعزى شيئا فو الله ما أبغضت شيئا بغضهما، فقال له بحيرا فبالله إلّا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه، فقال له سلني عمّا بدا لك، فجعل

¹ - ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1990، ج 1، ص 204

يسأله عن أشياء من حاله: من نومه وهيئته، وأموره، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع من صفته التي عنده".²

لما فرغ بحيرا ذهب إلى عمّه أبي طالب، فقال له: "ما هذا الغلام منك؟ قال ابني قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده".³

فمعرفة هذا الراهب بالكتاب المقدس، جعلته يعرف أنّ لهذا الغلام - محمد صلى الله عليه وسلم - شأنًا ذا أهمية كبرى؛ فهو النبي الخاتم وذلك بعد رؤيته لخاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم.

والذي يجب التأكيد عليه هو أنّ هناك من قال أنّ بحيرا كان له دور في تعليم محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أثاره كلّ من المستشرق أميل درمنغام والمستشرق مونتيه "إذ اعتبر أنّ محمّداً صلى الله عليه وسلم قد لقي بحيرا الراهب في مدينة بصرى بالشام ... وأنّ محمّداً لا بدّ أن يكون قد أخذ منه عقيدته".⁴

وهذه الشبهة مردودة اعتباراً لما يلي:

- لقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب، واستعان بعدد من الصحابة لكتابة ما ينزل عليه من وحي قرآني، فلو كان يستطيع القراءة والكتابة لما استعان بكتابة للوحي، فكيف بأبي يؤلف هذا القرآن العظيم؟.

- كيف لغلام صغير أن يستوعب ديانة بكاملها في لقاء عابر لم يستمرّ إلاّ لوقت قصير؟

- لماذا انتظر محمد صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سنّ الأربعين للإعلان عن دعوته؟

- هل التعاليم التشريعات والأحكام التوراتية هي نفسها الواردة في القرآن؟ طبعاً لا.

² - نفسه، ص 205

³ - نفسه، ص 206، محمد بن عبد الله بن يحيى، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، نشر مكتبة القدس للنشر والتوزيع، ط 1986، ج 1، ص 62-61

⁴ - محمد أمين حسن محمد بني عامر، المستشرقون والقرآن، دار الأمل للنشر والتوزيع الأردن، ط 2004، ص 234-235

2- قصة ورقة بن نوفل:

ومن قصّة بحيرا إلى قصّة ورقة بن نوفل، ابن عمّ خديجة، إذ لما بدأ نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، "انطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عمها- خديجة- وكان امرءا تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب أن توفي ورقة".⁵

هذه القصّة ذكرها ابن هشام أيضا في سيرته بصيغة أخرى، يقول: "ثم قامت خديجة، فجمعت ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، وهو ابن عمّها، وكان قد تنصّر وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع، فقال ورقة بن نوفل: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، إنّه لنبّي هذه الأمّة - فقولني: فليثبت فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة ابن نوفل".⁶ فذهب النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كعادته إلى الطواف بالكعبة فجاءه ورقة وقال: "يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره صلى الله عليه وسلم فقال ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبّي هذه الأمّة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكدّبته، ولتؤدّبته ولتخرجنّه ولتقاتلنه"⁷، ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرت الله نصرا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله".⁸

إذا كان ورقة يملك اليقين في أنّ ما حصل لمحمد صلى الله عليه وسلم لم يأت عبثا، وإنّما كونه نبيا أرسله الله، فإنّ بعض المستشرقين دأبوا إلى اتهام سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنّه تلقى دينه عن ورقة بن نوفل، يقول مونتغمري وات "كما أنّ خديجة كانت ابنة عم رجل يدعى ورقة بن نوفل الذي أصبح مسيحيا، وتأثرت

⁵ - رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

⁶ - سيرة ابن هشام، مصدر سابق، ج 1، ص 270

⁷ - الهاءات الأربعة لا ينطق بها إلا ساكنة فإنها هاءات سكت وليست بضمائر، ينظر الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، للإمام أبي القاسم عبد الرحمان بن عبد بن أحمد بن أبي الحسن الخنعمي السهيلي، علق عليه ووضع حواشيه مجدي منصور، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ج 1، ص 409

⁸ - سيرة ابن هشام، مصدر سابق، ج 1، ص 270

خديجة ببعض الشيء من ديانتها، وحينما تكلم ورقة مع خديجة عن محمد، كانت - خديجة - تنقل جلّ تجارب ورقة إليه، وفي النهاية أصبح محمد مقتنعا بتلك الأفكار، ولهذا استمرّ على نهج كتب الأنبياء السابقين".⁹

لكن هذا الاعتقاد لدى "واط" له ما يدحضه لما يلي:

- ليس هناك ما يشير إلى أنّ ورقة كان داعيا إلى النصرانية.
- أعلن ورقة بصراحة أنّ الحدث مصدره إلهي خارج عن إرادة محمد صلى الله عليه وسلم.
- اللقاء بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين ورقة قد تمّ في زمن متأخر بعد مجيء ملك الوحي.
- "ليست هناك نصوص تفيد وجود صلة سابقة بين محمد صلى الله عليه وسلم وورقة بن نوفل".¹⁰
- أنّ ورقة توفي بعد هذا اللقاء، فكيف أنّه علم محمد صلى الله عليه وسلم والوحي بلغ ثلاثة وعشرين سنة.

3- نماذج نفي اطلاع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على الكتاب

المقدّس:

* تعب الله:

- الكتاب المقدّس: "لأنّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتَرَاحَ وَتَنَفَّسَ".¹¹
- القرآن الكريم: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ).¹²

* السمع والاستجابة للدعاء:

- الكتاب المقدّس: "حَتَّى مَتَى يَا رَبُّ أَدْعُو وَأَنْتَ لَا تَسْمَعُ؟ أَصْرُخُ إِلَيْكَ مِنَ الظُّلْمِ وَأَنْتَ لَا تُخَلِّصُ؟".¹³

⁹- Muhammad at Mecca, by Montgomery Watt, published by University of New York Press Albany, Library of Congress, p: 31

¹⁰- حسن ضياء الدين عتر، وحي الله حقانقه وخصانصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين، نشر دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، ط 1، 1999، ص 146

¹¹- سفر الخروج 17/31

¹²- سورة ق، الآية 38

¹³- سفر حبقوق 2/1

- القرآن الكريم: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)"¹⁴.

* نوم الله:

- الكتاب المقدس: اسْتَيْقِظْ! لِمَاذَا تَتَغَافَى يَا رَبُّ؟ انْتَبِهْ! لَا تَرْقُدْ إِلَى الْأَبَدِ"¹⁵.

- القرآن الكريم: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ)¹⁶.

هذه بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر تبين بما لا يدع مجالاً للشك استحالة الاعتماد على الكتاب المقدس.

هكذا أخلص إلى أن:

- بحيرا الراهب عرف أنّ محمّداً، وهو غلام عمره 12 سنة سيكون له شأن كبير، وهذا لم يأتي من فراغ، بل لما رأى خاتم النبوة على كتفيه.

- ورقة بن نوفل هو نفسه أقرّ بأنّ محمّداً نبيّ هذه الأمة.

- القول بأنّ محمّداً تلقى تعاليم دينه عن بحيرا الراهب وورقة بن نوفل هو ادعاء لا أساس له من الصحة وغير مقبول؛ فالوحي استمر 23 سنة في حين كان لقاءه معهما لقاء عابراً ولوقت وجيز.

- من يطالع نصوص الكتاب المقدس ويقارنها بما جاء في القرآن الكريم يدرك يقيناً أنّ النبيّ محمد عليه الصلاة والسلام لم يكن على اطلاع ومعرفة بالكتاب المقدس. وأنّ رسالته من عند ربّ العالمين، وهو صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين.

¹⁴- سورة إبراهيم، الآية 39

¹⁵- سفر المزامير 23/44

¹⁶- سورة البقرة، الآية 255

المصادر والمراجع:

*- المصادر:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس.
- البخاري الجعفي محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع الصحيح المختصر المشهور بصحيح البخاري، تشرف بخدمته والعناية محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر دار طوق الحمامة بيروت لبنان ط 1، 1422
- ابن إسحاق، السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المزيدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط 1، 2004
- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ط 3، 1990
- السيهلي أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، علق عليه ووضع حواشيه: مجدي منصور، نشر دار الكتب العلمية بيروت.

*- المراجع:

- حسن ضياء الدين عتر، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين، نشر دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، ط 1، 1999
- محمد أمين حسن محمد بني عامر، المستشرقون والقرآن، دار الامل للنشر والتوزيع الأردن، ط 2004
- محمد بن عبد الله بن يحيى، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، نشر مكتبة القدس للنشر والتوزيع، ط 1986

- Montgomery Watt, Muhammad at Mecca, published by University of New York Press. Albany, Library of Congress.



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com